فلسفة حرية الإبداع فى فن التصوير الجدارى

بحث مقدم من

أ.م.د/ محمد حسن محمد عبد المنعم كشك

الأستاذ المساعد بقسم التصوير – شعبة التصوير الجدارى

كلية الفنون الجميلة – جامعة الإسكندرية

ملخص البحث

مقدمة

الإبداع هو محاولة لتنظيم الواقع المدرك حين تستثار قدرات الفنان الإبداعية من خلال إعمال خبراته المعرفية التراكمية بالتراث الإنساني، ومضيفا إليها خبراته البصرية سعيا نحو تنظيم هذة الخبرات والقيام بمجموعة من الأنشطة الفنية التى تقود نحو إنتاج أنساق فنية جديدة .

الإبداع هو محاولة للتغلب على التحديات والمعوقات ومظاهر القصور فى عملية إنتاج العمل الفني ومعالجة التصورات الذهنية الفنية والتقنية ومحاولة استلهام تجارب الآخرين للخروج بفكرة جديدة واعية قابلة للتطبيق .

العملية الإبداعية لفن التصوير الجدارى تهدف إلى تقديم محتوى فنى يأتي من فهم خاص لمجموعة من العوامل والمؤثرات والمعلومات المشتركة بين الفنان ومجتمعه التى تصاغ فى إطار تشكيلى جديد ونسق واضح، يتميز بإمتزاج الخبرة والأصالة من واقع الربط بين مجموعة من العناصر ومفردات التصميم الغير تقليدية والغير مرتبطه، من أجل تحقيق غاية جديدة سعيا نحو التحرر من سيطرة القوالب والحلول المعتادة والتقليدية، من خلال مجموعة من الأساليب التقنية المستحدثة والمرنة لمعالجة مجموعة الأفكار الجديدة والتفسير الجيد للمعلومات التى تقود لعملية إدراك ناجحة .

ويمكننا أن نحدد أن الرؤية الجمالية لفن التصوير الجدارى تتأثر باتجاهات المجتمع وطبيعة أحكامه الجمالية ومعاييره لقياس درجات القبح والجمال، ففن التصوير الجدارى يحمل وظيفة اجتماعية وتربوية وسياسية وأخلاقية فى ظل مجموعة من القواعد والقوانين التى تحكم تطور الشكل الفني وفق مدى تأثره بالظروف الاجتماعية السائدة وتعبيره عنها، وإستلهامه للموروث الحضارى الذى يمنحه طابعا مميزا يجعله يختلف عن أي فن آخر فى أي عصر من العصور .

فنحن نجد فن التصوير الجدارى رغم إختلاف عصوره ومذاهبه ومدارسه وخامات وأساليب تنفيذه فإنه دائم التطور فى التعبير عن القيم الجمالية التى تتوافق مع المثل العليا الجديدة للمجتمع وما تحمله من التأكيد على إلتزام الفنان بقيم مجتمعه سواء كان إلتزاما جماليا أو أخلاقيا أو دينيا أو سياسيا أو أيدولوجيا .

مشكلة البحث

العملية الإبداعية تحتوى علي عدة خطوات أو إجراءات تفصيلية تتفاعل مع بعضها البعض فى إطار من التكامل يعتمد كل منها على الآخر، ولا يحددها نمط فى التفاعل معها أو يحدد العمل بها أسبقية لإحداها عن الأخرى، ولكن تسلسل خطوات بناء العمل يَحكُمه إطار عام لحدوث هذة الإجراءات أو العمليات الإبداعية لتكوين منهج لدى الفنان تدعم عملية الإدراك الواعية لمكونات العالم المحيط والمُشَكِل لخبرات الفنان الذاتية والمُكَونِة لأفكاره ورؤاه الخاصة وذات الدلالات الواضحة والتي تحدد مجموعة من التصورات الإبداعية المحركة لخطط و مشاريع فنية يمكن تنفيذها من خلال عدة تجارب وعمليات إبداعية ونقدية متراكمة ومتكاملة تنتج فى النهاية ذلك العمل الفريد القادر على توصيل رسالة خاصة لجمهور المتذوقين .

هدف البحث

إبراز أهمية وضرورة التجربة الإبداعية للإنسان بإعتبار أن الفن بمفهومه العام والفن الشكيلى بمفهومه الخاص كان أحد أهم الوسائل التى عبر بها الإنسان عن خلجات نفسه وبَسط سلطاته وتحقيق وجوده ورفاهيته، التى وضعت الأسس الأولى للفن بماله من سحر وجمال وقدرة على إثارة شتى المشاعر والإنفعالات عبر الزمن، فأصبح الفن ضرورة وفرتها له قدرته على إثارة التفكير والإبداع سعيا نحو الإرتقاء لأسمى درجات الحس والذوق والجمال والحرية التى ينشدها الإنسان لكي يحيا كائنا بشريا يعيش وفق فطرته ومالكا لإرادته واختياره، والقدرة على الإنتقاء بين ما هو جميل وما هو قبيح .

مناهج البحث

المنهج الإستقرائى الإستنباطى .

مصطلحات البحث

- العملية الإبداعية : هي سلسلة من الخطوات التي يقوم بها المبدع تبدأ بالشعور بالمشكلة وتحديدها وتعريفها وتبيّن مظاهرها ثم وضع التصورات والحلول الملائمة لها، في أربعة مراحل هي: الإعداد،والاحتضان، والإشراق، والتحقق .
- زمن الإستيعاب : مساحة الوقت المطلوب لإكمال عملية رؤية وإستلهام القيم التشكيلية البصرية للعمل الفني (المشاهدة من وضع الثبات– المشاهدة من وضع الحركة) .

Research Summary
An Introduction

Creativity is an attempt to organize reality perceived disturbed while the creative capabilities of the artist through the realization of cumulative experience cognitive humanitarian heritage, and adding to the visual experience in an effort to organize these experiences and do a variety of artistic activities which lead to the production of new artistic formats.

Creativity is an attempt to overcome the challenges and obstacles and inefficiencies in the process of artistic production work and address the perceptions of mental and artistic and technical experiences of others inspired to try out a new idea of conscious applicable

The creative process, the art of mural painting aims to provide technical content comes from a special understanding of a range of factors and influences shared information and between the artist and society, which are formulated in the framework of a new Fine and clear format, featuring Bametzaj experience and originality of the reality of the link between a set of elements and vocabulary design of non-conventional and unrelated, in order to achieve a new highly in pursuit of freedom from the control of the templates and the usual solutions and traditional, through a combination of techniques developed and flexible to deal with the new set of ideas and good interpretation of the information that leads to the process of realization successful.

We can arrange that the aesthetic vision of the art of mural painting influenced by directions by society and the nature of aesthetic judgments and criteria for measuring the degree of ugliness and beauty, art of mural painting bears a social function and educational, political and ethical under a set of rules and Laws that develops form of technical control in accordance with the extent influenced by the prevailing social conditions and he put it, and inspired by the legacy of civilization, which gives him a distinctive character makes it different from any other art in any era of the ages.

We find the art of mural painting despite the different days through and doctrines and schools and ores and implementation methods it lasting development in the expression of aesthetic values that are compatible with the new ideals of the community and what was done to emphasize the commitment of the artist community values, whether committed aesthetically or morally or religiously or political or ideological.

Research problem

The creative process has several steps or detailed procedures to interact with each other in the framework of the integration of each depends on the other, and not determined by the pattern in the interaction with them or working out sets precedence for one another,

but the sequence of steps building work is governed by a general framework because of this Allajraat or creative processes to form approach to the artist to support the process of cognition conscious of the components of the surrounding world and the problem of the experience of self-artist and made up for his ideas and visions own and with clear indications which outlines a range of creative concepts driving plans and artistic projects can be implemented through several experiments and innovative operations and cash accumulated and integrated in the end, produce unique work that is capable to deliver a private message to an audience of connoisseurs.

Research Aim

Highlight the importance and necessity of creative experience for a person considering that art general sense and Shukaily art special sense he was one of the most important means through the man from the longing itself and the extension of powers and the achievement of its existence and well-being, which laid the first foundations of art with his wealth of charm and beauty and ability to provoke various feelings and emotions through time, bringing art should be provided to him by his ability to provoke thinking and creativity in pursuit of upgrading to a higher degree of sense and taste and beauty and freedom sought by man in order to live a human being to live according to his nature and the owner of his will and choice, and the ability to The selection between what is beautiful and what is ugly.

Research Methods

Inductive deductive approach.

Definitions of Research

- The creative process: is a series of steps undertaken by the creative start to feel the problem and identified and defined and showing manifestations then put her perceptions of appropriate solutions, in four phases (preparation, incubation, and radiance, and verification).

- Absorption time: space of time required to complete the process of vision and inspiration Fine values for visual artwork. (Viewing position of stability - viewing of traffic mode)

Mohammed Hassan Mohamed Abd Elmonem Keshk

مقدمة

وُجِدَ الإنسان لإعمار الأرض ومحاولا إحداث أكبر قدر من التوافق مع عناصر الطبيعة المحيطه به وتكوين جماعات شكلت اللبنة الأولى للمجتمع بمفهومه العام ليبدأ فى صياغة رؤيته للعالم فى ظل مجموعة من المتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية كان لعامل الحرية الأثر الكبير فى تحقيق إنجازات عديدة أدت إلى تطور أداء المجتمع علميا واقتصاديا وظهور أفكار تناقش الوعى وآلية إدراك الواقع الجديد وكيفية التعبير عنه بطرق إبداعية مختلفة، وبداية مناقشة رؤية فلسفية معرفية لظواهر الكون وإنتاج أفكار تحليلية تهتم بالأساطير ومفاهيم علم الجمال وخبايا النفس الإنسانية وكل المعارف التى تتصل بالإنسان وطرق إدراكه وتفرد شخصيته وحريته

ارتبط الإبداع الفني بالتعبير عن قضايا المجتمع وتشكيل وعيه، (وقد عبر كارل ماركس عن هذة الفكرة حين حدد جوهر النشاط الإنساني بوصفه العمل طبقا لقوانيين الجمال فى حين كان يقصد بذلك قدرة الإنسان على الإبداع تميزا عن الحيوان الذى لايستطيع أن ينفصل عن معيار حاجاته الخاصة فى تعامله النفعى المحض عن أشياء الطبيعة) (١)

العملية الإبداعية فى فن التصوير الجدارى

العملية الإبداعية التى تنتج عملا خلاقا مبتكرا يتصف بالتجديد وحرية الأداء والتعبير محدثا قدرا من التوافق بين التصميم والوظيفة فى إطار من الجمال وهو ما يتصف به فن التصوير الجدارى بأشكاله وأساليبه المختلفة فى ظل تعبير الفنان عن قضايا مجتمعه بفن يتصل بشكل مباشر بالجمهور بكافة توجهاته التى تثير طاقات الفنان الإبداعية وخيالاته ووجدانه وتستجيب لها تجربته الإبداعية فى إطار من حرية التعبير والقدرة على إمتلاك أدواته ومفرداته التشكيلية المختلفة، فالخامه تلعب دورا هاما فى فن التصوير الجدارى بإعتبارها الوسيط التشكيلي المرتبط بالتجربة الإبداعية، فهي معامل إرتباط تختلف تبعا لطرق وتقنيات التنفيذ، وتتيح للفنان قدرة أكبر لممارسته التشكيلية والتعبير بحرية وطلاقة وتعكس إمكانات الفنان للسيطرة عليها بهدف تحقيق الفعل الإبداعي الذاتي الخلاق وتأكيد الوجود الإنساني وإنطلاقه نحو إعمال الفكر والإكتشاف والخيال والوعي والحرية وتنمية المهارات الذهنية التى تعلى من قيم تذوق الجمهور للقيم الجمالية وتأكيد حرية الفنان ومعرفته وإدراكه الحسى لمفرداته التشكيلية من الخطوط والألوان وزوايا الرؤية والحركة الداخلية للتصميم وطبيعة السطح المنفذ علية العمل ووظيفته وظيفة المبنى وزمن الإستيعاب وملائمة العمل للقيم وطبيعة سلوك الجمهور المتذوق .

وتعتمد الخبرة الجمالية للفنان على إحتكاكه المستمر والدائم بعالم الألوان والحركة والخامة وموضوع رؤيته التشكيلية وقدراته التعبيرية المنفتحه على الآخر بقدر من الأصالة ورهافة الحس والذوق وقدر الحرية التى يتمتع بها للإستجابة والتعبير عن واقع مجتمعة وبيئته المحيطة .

تختلف المدارس والإتجاهات الفنية فى طرق صياغة العملية الإبداعية تبعا لتوجهاتها الجمالية فمنه من يهتم بالشكل الخارجي والبعض الأخر يهتم بالمضمون، فالمدرسة الأولى تتسم بغلبة الصياغة الإبداعية لشكل الظاهرة الجمالية التى تهتم بقضايا الضوء واللون

وتقنيات التنفيذ وتحليل المشهد بشكل هندسى مثل أعمال العمارة، والمدرسة الثانية تهتم بأصل وماهية وطبيعة الأشياء فى محاولة لإظهار المضمون العقلي للموضوع أو العمل الإبداعي ككل وإستخلاص مبادئ ورؤى إبداعية جديدة، وهنا تبرز أساليب التنوع فى المعالجة التشكيلية للموضوعات المختلفة التى نحاول إستقرائها بدراسة تاريخ الفن ونستخلص من خلال تجربة الفنان فى الإبداعية وعملية الإبتكار وتصنيف العمل الفني وأسلوب ورؤيته إلى إتجاهين :

الاتجاه الأول : العمل الإبداعي هو المعبر عن الرؤية الجمالية بشكل مباشر وترجمة مباشرة للإنطباعات والمؤثرات لموضوع العمل .

الإتجاه الثاني : العمل الإبداعي يحتاج لعدة مراحل تمكن المتلقي من فهم طبيعة العمل الفني وحقيقة الإبداع التى تتلخص فى إعمال الخبرة الشخصية للمبدع عند صياغته للعمل الفني من حذف وإضافة لإدراك فلسفة اللون والمؤثرات البيئية والحضارية وطبيعة وشخصية المجتمع ومحاولة البحث عن حقيقة الإبداع من خلال رؤية جمالية وإبداعية مباشرة وحرة .

وقد يؤثر الإطار المجتمعي على المبدع فيجعله متأرجحا بين تقييد إنفعالاته ونزعته الإبتكارية الحرة دون حدود وبين إطلاق العنان لمخيلاته ووجدانه، لذلك يعتبر الإبداع الفني هو شيئ أصيل فى نفس المبدع وتجربته الخيالية الخاصة الساعية نحو الكمال ولكنه لا يستطيع إغفال المناخ والوسط الذى يظهر به عمله اللإبداعى ورؤيته الجمالية التى تحدد مقاييس الجمال والإبداع وتقيس وفق قوانينه موهبة الفنان وتجعل منه صاحب رسالة ورؤية تصل لهدفها وتحدث تأثيرا إيجابيا فيه .

وتأتي العملية الإبداعية لفن التصوير الجدارى كعملية عقلية تحترم الإطار المجتمعى وتتميز بحساسيتها للمشكلات وقضايا المجتمع وتزود المجتمع بأفكار ورؤى إبداعية ترفع القدرة على إعمال العقل وملكة التفكير فى نسق مفتوح يخرج عن القوالب التقليدية ويتجاوز المعايير المتعارف عليها فى إطار من حرية ممارسة الإبداع فى ظل إحترام الخبرة الأدائية والتجارب التقنية والتكنولوجية المرتبطة بالمواد والخامات المستخدمة والقدرة على التحكم بها وتوظيفها بشكل أمثل، فالخبرات التى مر بها المبدع وكيفية معالجه قضاياة التشكيلية والأدائية للخروج بقيم تعبيرية تشكيلية، هى التى تؤدى إلى إنتاج إبداعي حر ومتفرد يجمع بين الشكل والمضمون فى وحدة واحدة يخرج المضمون من التجربة الإبداعية لشكل ملهم ومعبر وسط مناخ يتصل بوظيفة العمارة الحاملة للتصوير الجدارى وزمن إستيعابه ويعكس طلاقة وحرية خيال الفنان .

والتعبير بالفن عن قضايا المجتمع فى وطننا العربي تحكمه مجموعة من المحددات الخاصة بالثقافة العربية التى تميل نحو إحترام العقائد والديانات بما تحمله من قيم وأفكار وقيم جمالية للطبيعة، تعكس القدرة والإعجاز الإلاهى وتحفز على الإبداع بلغة تعبيرية عن المجتمع فى إطار حدوده المكانية والزمانية وتربط الإبداع الفني بالهوية الدينية التى تعتبر أن الإبداع الحقيقي هو الذى ينتج قنوات إتصال مع الوجدان وتزيد من مساحة إرتباط الفن بي بالوعي وتدعو للتأمل بالظواهر المحيطة وترتبط بالجتمع وتوجهاته، التى تشكل طبيعة

الحالة الإبداعية التى تحمل قيم الحق والخير والجمال والزمان والمكان الواجب توافرها لتحقيق الوحدة بين العمل الفني والموروث الحضارى للمجتمع لما له من أهمية فى تقييم مستوى الإبداع الفني، فالموضوع وطريقة معالجته فنيا لايحدد وحده إن كان العمل إبداعيا أو غير إبداعيا، إنما إرتباط أسلوب تناول الموضوع وتعبيره عن التراث الحضارى فى إطار المفاهيم الجمالية للمجتمع هى المحدد لمستوى الإبداع للعمل الفنى ويقيم القدرة الإبتكارية الإبداعية للفنان .

مفهوم العملية الإبداعية

يتميز المبدع بمجموعة من الخصائص تؤثر بشكل مباشر فى العملية الإبداعية تتلخص فى خبراته وتعليمه وثقافته وخصائصه المزاجية والعقلية ترتبط جميعا بالمثير الذى ينبه مراكز الإدراك التى تتثير عملية الخيال وبناء التصورات والتكوين وعملية التقويم والتعديل التى تعمل فى مجملها بشكل متألف ومتراتب لتشكل دافعا للعملية الإبداعية .

ومن ثم لابد من الإعداد الجيد وإكنساب المهارات للقيام بالعملية الإبداعية لفن التصوير الجدارى وفق إطار محدد يعكس أفكار ورؤية وهدف المبدع وإتجاهه نحو توجيه رسالة جمالية خاصة بالعمل، (ووفقا لكوفكا فالإطار العام هو الأساس فى تنظيم المدركات الحسية فكل تنظيم إدراكي هو تنظيم داخل إطار، ولا يوجد فنان يمكنه أن يعمل من الفراغ، فكل الفنانين يتأثرون بما حولهم وبأعمال من سبقوهم ومن عاصروهم أيضا) [٢]

فالتصوير الجدارى يتطلب خبرة ودراسة بإعتباره فن يعتمد فى جزء منه على المهارة اليدوية وكذلك أسلوب إدارة عملية التنفيذ التى قد تتطلب وجود فريق عمل من الفنيين ينفذون جزئيات من العمل وفق إطار وآلية عمل تؤدى إلى عمل فنى يمثل وعى الفنان وترتيب مفرداته التشكيلية وفق رؤيته وذاتيته الخاصة، تسبقه عمليات ملاحظة وعمل رسوم سريعة (إسكتشات) ودراسات تخطيطية للعملية الفنية ككل، حيث يجب أن يكون هناك تفاعل متناسب ومتوازن بين الدافع الإبداعي العام والدوافع الإبداعية الخاصة لتحقيق القدرة على تحقيق الحالة الإبداعية واضحة الرؤية ومحددة الهدف ومنظمة العناصر والمفردات والتي تنتج علاقات تشكيلية وبصرية تتصف بالحداثة والتنوع .

ويتطلب فن التصوير الجدارى إعدادا جيدا ودراسات متنوعة ومستفيضة لطبيعة الموقع ولموضع والخلفية الفكرية للمجتمع ووظيفة العمارة الحاملة للعمل الفني، هذة الدراسات تتطلب عملا مثابرا وملاحظات مستمرة لتطور العمل وتقييم مراحل التنفيذ وإلتقاط واستثمار الصدفة وتسلسل الأفكار التى تتداعى نتيجة التفكير والتأمل والاهتمام بدقة العمل التى تخلق حالة مناسبة لنشاط عملية الإدراك والخيال وتحقق إنطباعا متناسبا لدى الفنان والمتلقي، بإعتباره مؤشرا على نجاح الفنان لأن الإنطباع هو حالة وجدانية تحدث للمبدع والمتلقى عند التعرض لمعطيات العمل، وعملية إلتقاط لمفرداته الإبداعية، والمعلومات البصرية التى يصاحبه حالة وجدانية .

وعملية التخطيط والتحضير للعمل الفني تعبر عن حالة إبداعية خاصة قد لاتتضح أبعادها فى المراحل الأولى للتصميم ولكنها تحفز وتستثير الدافعية الإبداعية للفنان على مواصلة العمل وإستمرار تسلسل وطلاقة الأفكار وتنظيمها وفقا لأبعاد ومعطيات وظروف العمل .

ويمثل الخيال أحد محاور طلاقة العملية الإبداعية ووسيلة لتنظيم الأفكار وصياغتها فى قوالب تشكيلية إبداعية ومحاولة لحل المشكلات التصميمية والتنفيذية بشكل غير معتاد ومتفرد يطرح قوالب وأشكال جديدة حديثة كانت أو إعادة صياغة قوالب قديمة وتراثية فى إطار تشكيلى جديد، فالخيال هو المحرك للعناصر والمفردات المكونة للعمل الفني من صور ورموز يصوغها وينظمها العقل بقدر من الجمال والصدق، فالعماليات العقلية المتصلة بالتفكير والذاكرة والإدراك والعمليات المتصلة بالوجدان والخيال تسعيان نحو إنتاج تراكيب مستحدثة تتسم بالأصالة والجدة والإبهار فى أنساق تستخدم لغة الشكل كاللون والخط والملمس لتوصيل رسالة معينة إلى وجدان المتلقى .

وتواتر الأفكار وحداثتها أثناء العملية الإبداعية للعمل الفني نتيجة لتعدد مصادر التأثير الحسية من سمع وبصر وغيرها لتستثار كل الأنشطة العقلية فى محاولة لتقييم وتقويم هذة الأفكار وانتقاء الأصلح منها وهذا يتطلب الوعى للواقع المحيط والعالم الداخلي المرتبط بالوجدان، وخاصة لعدم استمرارية المثيرات الخارجية بنفس الوضوح والأهمية وتنوعها وتداخلها، فعملية إنتقاء الأفكار وصياغتها تحتاج لقدر من التركيز، بإعتباره نشاطا إبداعيا له أهمية فى السيطرة وتنظيم الإنشطة الإبداعية الأخرى، تحتشد لها كل الطاقات الذهنية والجسدية المرتبة بإيقاع الإرتقاء والنمو والمفاهيم والتصورات والسعى نحو الوصول لأفضل صورة من التصميم والقيام بعمليات الحذف والإضافة والتقويم للوصول لأفضل شكل من الأفكار والجديدة والمستحدثة .

وينتج عن عملية الإدراك مجموعة من التصورات التى تعكس صياغة المفاهيم والأفكار العامة فى إطار من الخطوط والأوان والظلال والأضواء وغيرها من مفردات لغة الشكل ليحقق الفنان التصورات الخاصة به والتي تبرز رؤيته من خلال إتجاهين :

الإتجاة الأول :

يدرك الفنان تصورا عاما يقترب من الشكل المزمع تحقيقه بنسبة كبيرة ولكن يقوم الفنان بعدة تغييرات خلال ممارسته للعملية الإبداعية قد تحدث تغييرا وتحولا كبيرا فى الفكرة الأساسية وقد يكون طفيفا وفقا للمعطيات الخاصة للفنان وتصوره النهائى الخاص

الإتجاه الثاني :

يتبلور تصور الفنان تبعا لانفعاله وتأثير ذلك على تسلسل أفكاره خلال ممارسته للعملية الإبداعية وإنتهاج مبدا التتابع والنمو حيث تتراكب الأشكال والعلاقات وتنمو من فكرة بسيطة صغيرة لتنتهى بعمل كبير ومكتمل العناصر .

إن فن التصوير الجدارى بما يمتلكه من قيم تشكيلية ومجتمعية خاصة وتكنولوجيات متعددة فى التعامل مع المواد الملونه والخامات الملّونة يحتاج لفترات من الوقت تتيح للفنان أن ينتقل بأفكاره وتصوراته بين العديد من الرؤى التى ترتبط بكيفية إدارة العمل بخطوات متواترة ومتتابعة تنتج عملا فنيا يحمل قيما تعبيرية خاصة .

الوحدة والتكامل

الوحدة والتكامل فى العمل الفني تعبر عن تآلف عناصر التكوين كالخط واللون والضوء والظل والمساحة.. وغيرها وإعادة تنظيمها وتحليلها، وأيضا عمليات الحذف والإضافة والتلخيص تثرى التفاعل فيما بينها فى نمط واحد يهدف إلى إخراج التكوين فى أكمل صورة وتناسق ووحدة، وقد أشار رسكن J.Ruskin * لعدة مبادئ وقوانيين التى تنظم التكوين كما يلي :

١- قانون الأهمية :

يقوم على العنصر الرئيسي الذى يحدده الفنان كمحور للتكوين وملامحه لها أهمية خاصة عن العناصر الأخرى وهو يعمل كجازب لباقى عناصر التكوين لتتوحد معه فى الإطار العام للتكوين .

٢- قانون التكرار:

يقوم على تكرار بعض العناصر داخل التكوين ولكن ليس بنفس الأهمية لتنتج نوع من الوحدة بين مكونات العمل الفني وصدى لبعضها البعض للتأكيد على فكرة معينة لدى الفنان

٣- قانون الإستمرار:

يقوم على تتابع وإستمرار المكونات التى ترتبط بطبيعة الموضوع محدثا قدر من التغيير التدريجى القائم على حرية التعبير ومحاولة الخروج عن القواعد والقوالب المعتادة .

٤- قانون التقويس :

يقوم على العلاقة التشكيلية التى تنتج من المنحنيات والأقواس التى يمكن رسمها لتوضيح وإنتاج أشكال جديدة وتضفى قدرا من الجمال أكثر من الخطوط المستقيمة والمباشرة .

٥- قانون التضاد :

يقوم على إنتاج موسيقى الشكل الناتجة من التقابل والتضاد بين الألوان الساخنة والباردة والأسود والأبيض والمعتم والمضيء والخطوط المستقيمة والمنحنية .

٦- قانون التغير المتبادل :

يقوم على دور العناصر المتقابلة والمتضادة فى خلق حركة داخلية ووحدة لمكونات التصميم لأن التغير الحادث لعنصر ما يترتبط بتغير مماثل للعنصر الأخر ولكن ليس بنفس القدر .

٧- قانون الإتساق :

يقوم على إنتظام عناصر التصميم فى نسق واحد رغم الإختلاف والتنوع لمكونات العمل الفني .

٨- قانون التناغم :

يقوم على التوافق بين عناصر التصميم وبشكل خاص اللون ودرجاته لما له من أهمية فى تمثيل التعبير لدى الفنان عن تجربته الإبداعية وما يريد تمثيله ومالا يريد تمثيله بقدر من الإيجاز والتجريد للطبيعة والحالة الإبداعية التى يمارسها .

٩- قانون الإشعاع :

يقوم على اتساق وتناغم العلاقات التشكيلية الناتجة من الخطوط وإتجاهاتها وتنوعها والحركة التى تنشأ بين أرجاء العمل الفني للخطوط المتقاطعة والمتوازية والمنحنية فى علاقات بسيطة ومعقدة وأيضا الدور الذى تلعبه الخطوط فى تكوين الأشكال بقدر من التوافق والوحدة العضوية بين عناصر التصميم بشكل عام .

هذة القوانين قد تعبر بقدر كبير عن تفسير الحالة الإبداعية وطرق معالجة السطح تشكيليا وعبر عن المنهج العام للعمل الفني وصياغته، ولكن الإتجاه نحو أعمالا أكثر تعقيدا وتحمل مفاهيم فلسفية أكثر حداثة وطرق وأساليب أداء تنتهج التجريب بالخامة ومحاولة إكتشاف أبعاد أكثر حداثة وتعبيرا عن حالة التسارع التى تميز العصر الحديث لذلك نجد ظهور نظريات ودراسات أكثر حداثة عن أشكال أو أنماط من التكوينات مثل ما قام به رودروف L. Rudrouf *

١- التكوينات الإنتشارية :

تقوم على تجانس توزيع عناصر التصميم فى أرجاء العمل دون نقطة تركيز أو مركز للعمل .

٢- التكوينات الإيقاعية :

تقوم على إيقاع توزيع المشغول والفراغ داخل مسطح العمل .. وقد قسم رودوروف هذا النوع إلى :

أ . التكوينات المحورية :

تترتب عناصر التصميم حول محور رئيسي يشكل مركزا للتكوين أو عدة أشكال تقوم على عدة محاور.

ب . التكوينات المركزية :

تنطلق عناصر التصميم من نقطة مركزية بالتكوين .

ج . التكوينات القطبية :

تقوم على العلاقة الديناميكية بين مجموعتين متقابلتين من الأشكال .

وتتفاعل الأشكال والألوان والخطوط وفقا لقانون الوحدة حيث تكتسب قيمتها من خلال العلاقة بين كل منها والأخرى، وتنتج تدرجات ونغمات وكثافات لونية لتكون أشكالا متنوعة تنحو نحو الهندسية تارة والعضوية تارة أخرى، يتم صياغتها وفق الرؤية الإبداعية للفنان لتحقق الوحدة والتفاعل والإتساق بين مختلف العناصر المكونة للعمل ككل وتعتمد على منهجية التنظيم تنتهي بإكتشاف تكوينات تحمل قيم ورؤى فلسفية مختلفة تنفذ إلى وجادن المتلقى، وهنا نجد أن الفنان يعمل وفق خطة منهجية لها ضوابط وقوانيين وقواعد تمنح العمل قوة وإتزان، وهذا النهج يُمَكِن الفنان من خلق قوانينه الخاصة التى تتوافق مع الإتجاهات العامة المتفق عليها وتتيح للقدرات والملكات الإبداعية لدى الفنان من الإنطلاق بحرية وتتيح له الوصول لأفكار إبداعية جديدة .

وتطلب نجاح العملية الإبداعية لفن التصوير الجدارى تضافر الجهود المجتمعية والحكومية للتغلب على الصعوبات التى قد تواجه الفنان، فضعف الإمكانيات والحالة الاقتصادية والنسق الإجتماعى قد تؤدى إلى نقص فى الرؤية وندرة فى المعلومات وبالتالي

تحتاج إلى مجهود مضاعف لتغيير الرؤية والبحث عن التصور الواضح لحل المشكلات التى يواجهها الفنان بقدر من المرونة والنضال، لتحويل الجوانب السلبية إلى إيجابية قد تتطلب الاعتماد على الخبرة الذاتية والقدرة على إدارة العمل لتغيير منهجية النشاط الإبداعي فى محاولة للسيطرة التكنيكية على الوسط الفني وإعمال الفكر فى حل العوائق وبالتالي إكتشاف علاقات لونية جديدة ومعالجات تقنية للخامة وأساليب التنفيذ بقدر من المناورة التى تسمح بتجديد الأفكار والتصورات وإستبصار رؤى جديدة تحقق الهدف بطرق إبداعية مختلفة وهو ما يمثل قمة النشاط الإبداعي للفنان .

ويلعب الخيال دورا كبير فى ضبط الأداء الإرادي للفنان، فالاهتمام بالعمل والاستغراق فى عملية البحث عن حلول مغايرة تتطلب قدر من المعرفة وإكتشاف الجديد من التجربة التى قد تقودنا إليها الصدفة وما يصاحب ذلك من إثارة للجهاز العصبي تنتج من التوتر والقلق والصعوبات العقلية والوجدانية تقود إلى تغيير سياق التوجه الذهني، وهذا ما نطلق عليه مسمى الإلهام أو الحدس وهو الناتج من عملية النشاط العقلي التلقائي فى العملية الإبداعية التى تهدف إلى تنظيم المعرفة التراكمية وتجميع المعلومات والقدرة على التمييز بينها وفق شخصية الفنان الإبداعية الخاصة، فالإرادة والمسئولية نحو تحقيق الهدف لها أهميتها بجانب المؤثرات الخارجية ونواتج المصادفة اللاإرادية التلقائية التى تحمل تفسيرات علمية وفسيولوجية وسيكلوجية للفنان تفسر النهج الإبداعي لتجربته التشكيلية .

وتحمل عملية التنفيذ لفن التصوير الجدارى العديد من الإجراءات التى تتيح للمصور أن يحول تجربته التصميمية إلى شكل مادي ملموس يخضع للإدراك البصرى واللمس، وهو يظهر إيقاع الفنان البصرى لأداء تجربته الإبداعية وطريقة تعامله مع الخامات والمواد والتقنيات وخطط ومراحل التنفيذ، وقياس مدى مرونته وحساسيته ومهاراته فى تطويع طرق الأداء لتحقيق أهدافه وتصوراته، وحالته الوجدانية فى طريقة وضع لمساته ومعالجته للسطح المعمارى محل تنفيذ العمل الجدارى، فاللمسة الإنسانية هى التى تبث الحياة للفكرة والموضوع، فعلى سبيل المثال تبدو معالجة جدار بأسلوب الفسيفساء قريبة من عملية تكسيته ببلاطات كاملة عليه.. إلا أن القطع الصغيرة المتنوعة الحجم والشكل التى انتجتها اليد البشرية بفطرتها وتلقائيتها تضفى حالة من الحياة والتفرد للعمل حتى ولو كان بلون واحد .

والممارسة الإبداعية تتطلب القيام بمرحلة تقييم نقدية قبل وأثناء العملية الإبداعية وفور إنتهائها لتذوق العمل وقدرته على التعبير عن الأفكار والموضوعات التى يريد الفنان تقديمها وفق أهدافه وتطلعاته ورؤيته الخاصة، هذة العملية لها أكبر الأثر فى تحديد استمرارية الفنان فى أداء عملة الفني والتقدم فى مراحلها المختلفة ودراسة تأثيرات مفردات لغة الشكل وتوافق عناصر التصميم ونجاح أساليب وتقنيات التنفيذ فى تحقيق وجهة نظر الفنان ومعلوماته وطموحاته، هذة الممارسة تتطلب القيام بإعادة النظر ودراسة الأفكار والتصورات على فترات مختلفة وتقتضى أن يتوقف المبدع لفترات عن الممارسة الفنية وأن لا يبتعد عن العمل الفني لكي لا يفقد إتصال الأفكار والرؤية الموضوعية للعمل .

وتنتج عملية التقويم مجموعة من التعديلات المختلفة على بعض الأفكار ومكونات العمل الفني تتكر بشكل متواتر مع عملية التقويم قد تصل إلى القيام بعملية إبداعية جديدة أو

موازية للعملية الأصلية وبالتالي تغير من الصياغة ووجهة النظر حتى يصل المبدع لحالة من السيطرة على العمل الفني ويحقق التوافق والإتزان ليصل إلى حالة من الرضا عن النتائج المقدمة

والأداء الإبداعي الذى يمارسه الفنان بكل مراحله وعناصره المختلفة له هدف وغاية رئيسية هى إدارة عناصر التصميم ومفردات لغة الشكل وتنظيمها والسيطرة عليها فى إطار محدد وفق رؤيته الإبداعية فى محاولة لحل إشكاليات العمل ووضع الصياغات الأولية والنهائية للتصميم من خلال التحليل والدمج والفك والتركيب وما يستلزم ذلك من صراع وخيال ودافعية وتركيز فى محاولة للوصول إلى الهدف والتوافق والتكامل بين عناصر التكوين الذى يتضمن مجموعة من الأفكار والخطط والتنظيمات التى تجعل نواتج العملية الإبداعية مرضية ومقنعة للفنان ومؤثرة فى المتلقى .

والعلاقة بين الفنان وبيئته هى أحد أهم مقومات النشاط الإبداعى فى فن التصوير الجدارى، فهو يستمد أفكاره من المعلومات الخاصة بمجتمعه وبيئته ، فالتصوير الجدارى كأحد أنساق الفن التشكيلي يحاول أن يوصل رسالة القيم والرؤية الخاصة بالفنان الممتزجة بقيم المجتمع إلى المشاهدين بشكل مباشر، فهو فن يخرج إلى جمهور المتذوقين أملا فى تقديم رسالة خاصة تلقى قبولا لدى الجمهور وتنفذ إلى وجدانه بشكل مباشر وتؤسس لمنهج نقدي جديد ورؤية مستقبلية للعمل الفني، يقول هربرت ريد (الفنان يعتمد على المجتمع، يأخذ طابعه وإيقاعه لأنه عضو فيه، ولكنه يلجأ أيضا إلى الاعتماد على فرديته وخصوصيته وإرادته المحددة للأداء) (٣)

والتفاعل الإجتماعى مع الفنان بإختلاف أنواعه وتوجهاته هو المحدد بقدر كبير لتنمية وتحفيز الفنان واستثارة خيالاته وخبراته الإبداعية وتمكنه من الشعور بالثقة والتطلع نحو إمتلاك الخبرة والسعي نحو التطوير مما يساهم فى توجيه مساره ومواصلة اتجاهه نحو تقديم إبداعه الفني إلى مجتمعة الكبير .

كما إن البعد الإجتماعى للإبداع فى فن التصوير الجدارى له فعاليته وأهميته خلال مراحل العملية الإبداعية، فالإبداع هو عملية تفاعلية تقوم على التفاعل الإيجابي بين الفرد والجماعة، فالمصور الجدارى يواجه مجموعة عوامل قد تتصل بتقنية التنفيذ أو طبيعة خامة التنفيذ أو الرؤية البيئية والتأثير المجتمعى أو طبيعة التكوين وعلاقته بالسطح المعمارى محل التنفيذ وزمن الإستيعاب تظل جميعها تتوارد على ذهنه ووجدانه سعيا منه لمزيد من بلورة ووضوح الصورة، التى من خلالها تبدأ نواتج العملية الإبداعية فى الظهور على السطح وبداية محاولة توزيع الأشكال فى الفراغ والبحث عن اللون المناسب وغيرها من الإجراءات التى قد يجد الفنان بها قدر من الصعوبة وقد تستمر زمنا طويلا من أجل التجديد والتطوير المستمر للإمكانيات والوسائل الإبداعية، وهنا يأتي دور الدافعية الإبداعية المعنى بالاستمرارية والمرونة فى حدود المجال الفعلي للإبداع والموضوع فى إطار من التكامل بين كل فعاليات العملية الإبداعية .

ومخاطبة فن التصوير الجدارى للجمهور بكافة توجهاته وأفكار يؤثر بالضرورة فى السلوك، حيث أنه يخلط بين النظرية الفنية والممارسة الإبداعية من خلال التفاعل المباشر بين الفنان والعمل الفني والمتلقى، هذة العلاقة التكاملية تحسن الأداء الفني وتطور مستوى التفكير وتضمن إستمراريته ليصل المبدع إلى تصور واضح عن دوره المجتمعى وموقعه

وإمكانيه تأثيره وحساسيته لما يحدث فى مجتمعه داخليا وخارجيا وبدون هذا الفهم لدور الفن والفنان يفقد القدرة على تواصله مع المجتمع .

النشاط الفني هو أحد الأنشطة الإنسانية يتفاعل المبدع من خلاله خياله فى إطار رمزي لمحاولة الوصول لأنساق إدراكية ومعرفية حديثة وقابلة للتجديد المستمر، ويشترك فى ذلك العلم بأهدافه التى يمكن تطويعها للتناسب مع توجهات وأهداف الفن، فالفن يمكن أن يكون وسيلة لوصف وتفسير ونقد الظواهر الظاهرة الطبيعية والإنسانية ووسيلة لضبط وتعديل السلوك الإجتماعى وتطويره من خلال رفع الوعى الإنساني والارتقاء بشخصية الفرد وإدراكه ورؤيته وفهمه الجيد لواقعه وحياته وتحفيزه للتنبؤ بمستقبله، فالرؤية تحمل جانب فسيولوجي وآخر سيكولوجي للمتذوق، وهى ترتبط بطبيعة النشاط الإدراكى لتفسير الظواهر المحيطة التى يتعرض لها الفنان وتحدث تأثير عضويا خاصا ومختلفا تبعا لطبيعة الرؤية الفنية وعلاقتها بأسلوب التعبير الخاص بالفنان وشكل ومعطيات الموضوع محل العمل الفني، وهى تنقسم لعدة أنماط ومستويات كما يلي :

- محاكاة الواقع الخارجي وتسجيله بشكل مباشر وينحسر دور رؤية الفنان الخاصة فى العمل .
- يظهر دور ورؤية الفنان فى تقويم التوجه الإبداعى وإطلاق دور الإدراك فى التعامل مع الطبيعة المصورة .
- يبرز دور الفنان وسيطرة رؤيته وخياله ويتجاوز حدود الطبيعة لينتج تصورات جديدة وينطلق إلى عالم إبداعي خاص ويخرج عن حدود المقول والمفاهيم الدارجة ليكشف عن آفاق أكثر إتساعا وشمولية .

تعتمد رؤية الفنان على مدى دافعيته الإبداعية وخبراته المعرفية والتقنية وسعيه نحو تحقيق هدفه لتحقيق رؤية خاصة قد تتوازن مع الطبيعة أو تتعداها إلى آفاق بعيدة ومتجددة تظهر فيها قدرته على الإبتكار وتحقيقه لذاته وإرضاء لحاجاته الوجدانية والمعنوية والقدرة على التأثر والتأثير فى الطبيعة المحيطه به–بيئته ومجتمعه– ويتخذ لتحقيق ذلك أسلوبا فنيا ومفردات تشكيلية خاصة به، فقد يقصد عالم الرمز لينتج عالما خاصا به يحمل تاريخه ويتطلع إلى مستقبل يصيغه برؤيته وفكره الخاص بعيد عن المحاكاة والتقليد .

الشكل و المضمون

تبرز قضية الشكل وعلاقته بالمضمون كأحد إشكاليات عملية التفكير الإبداعى لفن التصوير الجدارى فى محاولة لتغيير وتطوير الشكل بلغة بصرية خاصة تتعامل مع الشكل ووظيفته كمنتج يعبر عن رؤية محددة وتحمل مضمون خاص، وهنا تأتى العلاقة التبادلية التى تناقش قضية هل الشكل أولا والمضمون هو نتيجة للشكل؟ أم أن المضمون هو المحدد للشكل، وفى فن التصوير الجدارى تظهر عدة جوانب تؤثر فى هذة العلاقة واتجاهها، فخامة التنفيذ وأسلوب وتقنيته التنفيذ ووظيفة العمارة وشكل السطح المعمارى وخصائص المجتمع والبيئة المحيطة وزمن الإستيعاب وغيرها من المحددات التى تؤثر على الشكل والمضمون الذى يحمله، فكما يقول" لويس سوليفان" L. Sullivan بأن الشكل يتبع الوظيفة ويستمد وجوده وخصائصه من خلال طبيعة الموقع، فالشكل دون وظيفة لاقيمة له، فالشكل

ومفرداته من لون وضوء وخط ومساحة وغيرها وظيفتها إنتاج موضوعات وأعمال إبداعية خاصة لها رؤية إبداعية وبالتالي تحمل مضمونا فكريا يمثل الإدراك وسيلة نقل رسالته التعبيرية إلى وجدان المتلقى .

وتبدأ عملية الإدراك من إدراك أولى للواقع المحيط ومن ثم تكوين مجموعة من التصورات والأفكار سعيا نحو فهم وتفسير الظواهر المحيطة وهو ما يمثل إدراكا أكثر تعقيدا وتراكبا فى إطار من الحرية والطلاقة والقدرة على التفكير المرن وإصدار الأحكام والقيام بأعمال التلخيص والتجريد والإختزال والقدرة على إستيعاب التفاصيل والمزج بين المتغيرات وابتكار قيم لونية وشكلية حديثة من خلال الإمكانات الإبداعية التنظيمية للخطوط والألوان فى أنساق معرفية جمالية متميزة تجسد أفكار الفنان ودوافعه وتصوراته وقيمه وإتجاهاته وخبراته وتراثه وسماته الشخصية وتفضيلاته وأنماط إدراكه وتفسيراته وطموحه الممتزج بتطلعاته الإنسانية والإجتماعية مما يؤكد أهمية دراسة العملية الإبداعية ومحاولة إستنتاج القيم والفوائد المرتبطه بالإطار الإجتماعى والتربوى وغيرها من الأطر التى يحملها التصوير الجدارى .

طبيعة الإدراك

إن فن التصوير الجدارى لايخدم توجها مباشرا بعينه، ولكن ذلك لا يعني أنه بلا هدف بل إنه يهدف إلي الغاية القصوي للإنسانية عبر وسيط هو المتذوق الذي ينفعل ويتأثر بالعمل الفني بشكل مباشر، وأن المتذوق المتفاعل يتخذ اتجاهه عبر خيال المبدع، وبما أن الخيال هو محاولة لإدراك الغيب أو اللاواقعية فإن هذا يعني أن الرؤية الفنية تعمل إعادة صياغة للواقع وللعالم، وتحويلها إلي مادة يشكل منها الفنان وقائع جديد وخاص للتعبير عن الموضوع، والرؤية الفنية تخترق جمود الأشياء وتهدم وتعيد البناء من جديد، فهي إعادة صياغة مدفوعة بقوة المبدع ــ فالفنان عندما يعطي المتلقي معطيات أوسع من الموضوع المرتبط به نجد أن المواد والخامات يستعملها المصور الجدارى ولا يوظفها باعتبارها المادي ولكن يوجد بها بعدا جماليا وعالما خاصا يؤثر من خلال العملية الإبداعية ذاتها، ويهدف إلى إثارة الانفعال لدي المتلقي ويتحول إلي مثير يؤدي إلي الاستجابة التى تتحول بدورها إلي إحساس يسهم في تنمية الحس الجمالي لدى المتلقي، فالرؤية الفنية تجعل الفنان ينفذ إلي أصل الأشياء وخصوصيتها وأنها يمكن أن تصاغ علي نحو آخر وتتحول لدي الفنان إلي وسيط يمكن إعادة تشكيله ومن هنا يكون الإبداع ويري الفنان أن هذا الوجود ممكن التجديد فيه .

القيم الإبداعية و القيم الجمالية لفن التصوير الجدارى

<u>- قيمة الجمال</u>

الجمال كفكره ومفهوم غير ثابت يتغيــر حسب الزمان والمكان والبيئة والثقافة، فالعملية الإبداعية تلعب دورا أساسيا وهاما في القيم الفلسفية للجمال، التى تهتم بدراسة ماهية الفن، طبيعة الفن، وأي نوع من التجارب الإبداعية يعد تذوقا فنيا لإن من شأن العمل الفني أن يفتح أمامنا آفاق العالم الإنساني الكلي الذي لا يحده زمان ولا مكان، فالفن لا

يمكن أن نسميه فنا جميلا إلا إذا كنا واعين به كفن خُلِقَ للحياة الشاملة وإبداع للذات الجمالية الأوسع نطاقا من الذات الطبيعية أو الذات الأخلاقية، إنها محاولة للخيال والارتفاع إلى مستوى الإنسانية وهذا يتم عندما يلتقي الخاص بالعام في لحظة الإبداع الهادف والمستنير التي تعبر عن الحياة بمفهومها الشامل، فالفن هو الخيال والثقافة والحرية ، ولهذا فإن الفنان هو من يتحكم في إبداعه، فالفنان الذي ينتهج الموضوعية فى أعماله يحاول أن يسموا عليها بشكل إيجابي تتجلى فيه قدرته على التحرر من أحاسيسه وانطباعاته بفضل جهده التعبيري الخاص، وهذا الإنتاج هو وليد اللحظة بفعل الحواس وبفعل العقل ، فالعملية الإبداعية تتطلب منه أن يتأمل شكل ومضمون العمل الذي يحفز الفنان بالمباشرة بالقيام بتنفيذ العمل الفني، ان لحظة الشروع بالعمل تحفزها الغريزة بإعتبارها المنطلق الأساس للتعبير عن الفن، ولكن على أساس مبدأ اللاشعور فهو يعد اللاشعور مبدأ من المبادئ الذاتية فى الفن التى تنتج هنا واقعا فطريا تلقائيا يشغل ملكات الفنان فى ظل حرية الإرادة فى البحث عن غاياته والتعبير عن مكونات ذاته في العمل الفني.

<u>– قيمة الخيال</u>

إن فان الفنان حينما يمارس عمله في الإنتاج الفني إنما هو يمارس قدرا من الخيال فى محاولة للهروب من العالم الواقعي الصغير بقدر يحتوي على إدراك واسع للأشياء، فالفن يساعدنا على رؤية ماهية الأشياء وهو ليس مجرد نقل للمشاهد والواقع الجاهز والمعدة مسبقا، بل هو الطريق التي تهدف إلى تكوين نظرة نافذة وموضوعية إلى الأشياء بهدف تدعيم الواقع وزيادة شدته، فهنا تبرز حريته وقدرته على الإبداع بما يقوم من تمثيل للمشاهدات والأحاسيس والإنطباعات للوصول لتحرير الذات وبذلك يبلغ حرية داخلية خاصة وتعبيرا فنيا إبداعيا خاصا ومميزا، في حين أن الفن يزودنا بنوع جديد من الحقيقة ومن طبيعة البناء الفكري للخيال الإبداعى، فالخيال الإبداعى هو إعادة لترتيب المواد وعناصر التكوين وتوزيعها بإعمال ملكات العقل والحواس، لكون الفن عملية بنائية تحتاج إلى هذين العاملين .

<u>– قيمة النشاط الذهني والعقلي</u>

تكمن أهمية النشاط الذهني والعقلي في الإبداع الفني على اعتبار أن العمل الفني ليس فكرة مجردة يعبر عنها الشكل، بل يتطلب حضور الفكرة من خلال الشكل الناتج عن التوازن بين النشاط الذهني للفنان بين طبيعة الشكل وخصائص المضمون، فالعملية الإبداعية هى مجموعة من العمليات الشعورية الفعالة التي تحدث تأثيرا على الإنسان وعلى بيئته الطبيعية لكي يشكلها ويصوغها ويكيفها، وتمنحه قدرا من المتعة أو اللذة، لذة الحواس ومتعة الخيال، باعتبار أن الفن متعة بصرية ولذة جمالية، وهنا تبرز أهمية حرية الفنان فى إنتقاء موضوعه و مفرداته التشكيلية، فالحرية تقود إلى جمالا ذو قيمة وجدانية تتناسب مع معطيات الزمان وطبيعة المكان–ثقافة الموقع والموضع–ففن التصوير الجدارى لا يكون له وجود واقعي خارج الوعي الجمعى للمجتمع، إما باعتباره موضوعا جماليا فإنه لا يكون له وجود واقعي خارج هذا الوعي الجمعى لأنه في هذه الحالة لا يمكن إدراكه بوصفه صورة فلسفية خيالية فى وجدان الفنان وحده، ومن هنا تكمن خبرة المصور الجدارى في تشخيص

عمله شكلا ومضمونا بكونه يربط بين الشكل الفني والتجربة الإبداعية وخصائص البيئة فيخلع عليه صفة نفعيةٍ ويصبغ على الخبرات الإدراكية الإنسانية بصفة عامة طابعا جماليا، فليس هناك حدا فاصلاً في نظره الفنان وخبرته الجمالية وخبرات الجماهير اليومية، فلكل فرد تجربته الجمالية الخاصة ذات الطابع الشخصى بشرط أن تجيء متناسقة متسقة ومشبعة وباعثة على الرضا لما يصاحبها من تفاعل حيوي، وتقدير جمالي لكل ماهو يحمل قيم تعبيرية نتذوق بمقتضاه أي موضوع عادي من موضوعات الحياة اليومية وهذا لا يتم إلا وفق إرادة وقوة التعبير الحر والمسئول .

- قيمة الفكرة

إن عملية الإبداع الفني تتم تلقئيا دون وعى أو قدرة للفنان على التحكم فى إنفعالاته خلال ممارسته لعملية الإبداع ، فهو لا يستطيع تفسير ما يقوم به، فهو كالأداة في يد قوة الإبداع التى تقوده دون وعي منه في عمله الإبداعي فالفنان حينما يفكر بالانتاج عمل ما بفكرة يمكن تمثلها بطرق مختلفة فان وجود فكر يعني وجود تفكير، وهو عمل ثقافي ومفهومي، إلا أن التفكير الفلسفي للفنان يأخذ الموضوع كمثير يخرج عن مجرد الترجمة المباشرة أو إعادة إنتاج للواقع، فالتفكير الإبداعى يحمل فلسفة التفكير بالكيفية التي تجعلنا نجد تدريجيا أنماطا ووسائط ومراحل وسطية تثري عملية التفكير وتوضح الفكرة، والفنان من هذا المنطلق هو الذي يظهر لنا الفكرة في شكل إبداعي خاص، وهذا الشكل هو الشكل الفلسفي الاستدلالي لمفردات العملية الإبداعية بمفهومها العام .

وترتبط القيم الجمالية والقيم الأخلاقية بمعايير وقواعد تؤكد الرسالة الإجتماعية للفن، فيربط أفلاطون بين الحق والخير والجمال، ويقرر الفلاسفة أن علم الأخلاق هو فرع من فروع علم الجمال، فى نفس الوقت لا نستطيع أن نحدد الفن وفق قالب أو إتجاه محدد فهو يعبر عن الحياة والمجتمع بكل توجهاته ويحمل ويتعرض لكل السلبيات والإيجابيات، فالحقيقة الأخلاقية للفنان تعتمد على صدق تصويره للواقع بحرية، فالفن ليس له موضوعات جميلة وأخرى قبيحة .

يقول" فلوبير" (أن الفشل يصيب جميع فنون الدعاية ذلك لأن القيمة الأيدولوجية لا يمكن أن تضمن القيمة الجمالية) (٤)

شهد العالم الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية وأفرزت عن العديد من الإتجاهات الإجتماعية والسياسية وحركات التحرر التى أنتجت مجتمعات حضارية جديدة أثرت فى الفن وتوجهاته التى عبر عنها وإتخذ مواقف مؤيدة ومعارضة وكان سلاحا لعرض الأفكار والتوجهات للجمهور، وظهرت فكرة الفن صاحب توجه معبر عن الواقع السياسي والإقتصادى والإجتماعى وإنحسر دور فكرة توجه الفن للفن، فيرى" فكتور هوجو " (أن الفن للفن يمكن أن يكون جميلا، لكن الفن من أجل التقدم يكون أجمل).

ويستمد فن التصوير الجدارى قوته وتأثيره من الحقيقة الأخلاقية وتعبيره عن الحياة بشكل عام والمجتمع بشكل خاص، فهو يهتم بصنع الجمال بمفهوه الأسمى والمعنى الأخلاقى المرتبط بالموضوع، والقيم العليا المعبرة عن أهداف ورؤى خاصة بالفنان تنظمها

ضمير الفنان ويعمل فى إطار أخلاقي وإجتماعى ويخرج عن الإتجاه الدعائي الذى لا يحمل بالضرورة قيما جمالية .

– قيمة أخلاقيات الإبداع

يتطلب فن التصوير الجدارى بإعتباره فنا جماهيريا قدرا من إعمال القيم الأخلاقية فى العمل وتوجيه الجمهور نحو الخير وتقويم العادات والأخلاق، فالقيمة الجمالية قد لاترتبط إرتباطا وثيقا بالأخلاق فى العمل الفني الفردي داخل دور العرض، إنما يحمل فن التصوير الجدارى فى طياته قيما جمالية وتعبيرية عن النظم الأخلاقية والدينية والسياسية ويعبر عن ظروف المجتمع وعاداته وتقاليده بكافة فصائله وتوجاته وقيمه وجماهيره الكادحة فى مختلف الأنشطة الإقتصادية والإجتماعية ويتلاشى شعار (الفن للفن) ويحل محله شعار (الفن للمجتمع)، شعار ينبع من ذات الفنان ووجدانه المعبر عن المجتمع .

وقد تتوجه بعض الأعمال نحو الخروج على التقاليد والقيم الأخلاقية الشائعة سعيا نحو الثورة عليها ومحاولة تغييرها والتطلع نحو الخروج عن القوالب الجامدة التى تحد من تطور المجتمع، لأن الفن يحمل طابع الإلتزام الإيجابي بالنسبة لمُثل المجتمع الأخلاقية، فليس من الضرورة أن يكون معبرا عن تيارات سياسية واجتماعية وثقافية سائدة، فقد يثور عليها سعيا نحو الأفضل فى إطار عام من الأداء الفني الملتزم والمعبر عن السواد الأعظم لجماهير المجتمع، وهنا يكمن جوهر الفن وعظمته فهو المجال الرحب للحرية والإنسانية، فالفن وفن التصوير الجدارى لا يخضع لقانون واحد، إنما يخضع لظروف المجتمع ونظمه وحضارته وتطلعاته نحو المستقبل .

وقد اهتم فن التصوير الجدارى بقضايا الإنسان عبر التاريخ ومهد فى مراحله التارخية المختلفة السبيل نحو التمرد والثورة على القيم الجمالية الجامدة وإرساء قواعد جمالية جديدة تنفذ إلى الواقع وتصور المجتمع وما يزخر به من أنماط الحياة ومشكلاتها الاقتصادية والأخلاقية والدينية وغيرها، وتحددت المفاهيم والتصورات للقيم الجمالية الجديدة بغلبة حرية الفنان وإنطلاقه نحو التعبير عن عواطفه وخياله الإبداعى وسعيه لتحقيق عالم مثالي ومدينة فاضلة تخرج عن الأشكال والأنماط التقليدية وتحقق القيم العليا للجمال والوحدة والإيقاع والإنسجام والنظام والتنوع، وتبرز خلجات نفسه وتترجم ما يدور فى وجدانه وإنفعالاته بكل صدق، فالفنان لا ينحسر دوره فى مجرد إعادة تشكيل عناصر الموضوع الجمالي وإنما يتعدى ماهو تعبير إبداعي صادق عن النفس وخياله الإبداعى الخلاق .

فوظيفة المصور الجدارى هو السعي نحو التعبير الصادق عن الواقع الإجتماعى لموضوع العمل الفني والالتزام بالوقع الموضوعى دون إغفال مصادر إلهام الفنان وكيفيه معالجته التشكيلية للموضوع بأسلوب واقعي مباشر أو بأسلوب رمزي غير مباشر وهو أسلوب أكثر تعبيرا وجمالا وتثرى حالة التفاعل الإيجابي مع المتلقى، وتحدد العلاقة بين الفنون والوجدان الجمالي وبين الوجود الإجتماعى والحياة الإنسانية من خلال إرتباط الإتجاهات والمدارس الفنية بجماهير الشعب وحياته الإجتماعية وعلاقة ذلك بحركة تطور

الثقافة والفنون والإبداع الفني وتعبيره عن الشكل والمضمون والطراز فى إطار زمني معاصر .

وتنطلق قيمة الجمال من القدرة على التعبير عن الموضوع والبيئة المحيطة، فقد شهد القرن العشرين إتجاهات فنية عديدة ترتبط بالمجتمع وهى الفنون التى تخدم القيم الأخلاقية والإجتماعية، وكنتيجة للتغيرات الإجتماعية والسياسية والثورات العديدة وما شكلته من تغيير فى القيم الإنسانية ومهد لظهور تيارات ذات نزعات دينية وأخرى تحررية تنزع للتحلل من واقع الحياة وتهدف لإطلاق النزعات والأفكار المتضاربة والمتصارعة تستهدف القيم الفلسفية والإجتماعية والثقافية للمجتمع من أجل تغييره وفق رؤى وأجندة هذة التيارات والتأثير على إنتماء الفرد للجماعة وبالتالي تغيير شخصيته التى تقاس بمدى إندماج الشخصية الإنسانية بالجماعة والإعتراف بحقيقة أن الإنسان هو الفرد الموجود ويعيش حالته الوجودية بحريته وصدق تعبيره وقدرته على الإنتقاء رغم ما يعترضه من معوقات .

الخاتمة

فن التصوير الجدارى فى تطوره خضع لعدة عوامل إجتماعية وسياسية متباينة، فالفن البدائى حمل بعدا سحريا والفن المصرى القديم عبر عن العقيدة الدينية والنظام السياسي، والفن اليونانى تأثر بالطبقات الإجتماعية والشكل السياسي للمجتمع عبر عنهم، والفن الرومان تأثر بالحالة السياسية ومظاهر الحروب، وتأثرت الفنون القبطية والإسلامية فى مصر بمتطلبات العقيدة الدينية والأخلاقية، وتأثر فى عصر النهضة بتحرر العقل ومظاهر إستشراف الثورة الصناعية وإعتنق فى بدايات القرن العشرين التغيرات السياسية والنظم الإقتصادية والإجتماعية المستحدثة .

ويرتبط فن التصوير الجدارى ببيئته وموروثه الحضارى فهما الضابط لجماليات التعبير وإختلاف التيارات الجمالية وإحداث التوازن، فالعمل الفني الذى يخرج عن التوجه الإجتماعى والسياسي والإقتصادى والطابع الإنساني يخرج عن نسق المجتمع وسلوك وشخصية أفراده، فالعمل الفني فى مجتمعنا العربي الذى يعبر عن الحياة الإنسانية فى ظل إدراك حقيقة الكون والفلسفة الجمالية والموروث الحضارى هو السبيل لتوسيع وتنمية المفهوم الإبداعى والإدراك الجمالي لحقيقة المجتمع والسلوك الجمالي للفرد فى ظل من تعدد التيارات الثقافية والجمالية التى تعكس أصدق صور الحرية المسئولة، ولا يمكن إغفال أهمية المهارة الفنية وإستحداث طرق أدائية جديدة واحترام الوظيفة الأساسية للإبداع الفني وإعمال الفكر للتأكيد على أن العملية الإبداعية هى لغة الفكر والسبيل إلى الحرية .

نتائج البحث

- التجربة الفنية التى لم تنضج وسط بيئتنا وتحمل نبض الجماهير وعمق مشاعرهم الدفينة غاب عنها جوهر المضمون الفني المرتبط بالبيئة وإن قدمت تجربة تحليلية وتشكيلية خاصة .
- دائماً ما يحدث خلط بين مفهوم الجمال والفن، فالجمال يرتبط بالوجدان بينما الفن هو إنتاج وإبتكار شيء مادي محسوس وفن التصوير الجدارى بإعتباره نشاطا إنسانيا ظهر منذ عصور ما قبل التاريخ، أنتجه مجموعة ممن يمتلكون موهبة إبداعية وإبتكارية لديهم القدرة على التعبير عن طريق الوسائط الفنية عن أفكار وموضوعات تعبر وتسجل مجموعة من الأحدث وتؤثر فى الآخرين وتنفذ إلى وجدانهم .
- المصور الجدارى لا ينفذ عمله دون أن يتأثر ويتفاعل مع حدث أو موضوع معين تأثيرا فكريا ونفسيا يشكل رؤيته الخاصة التى تأتي عبر الفكر والشعور، هذه الرؤية التي تثري بـــعملية الخيال التي تمكنه إعادة التشكيل وهذا لا يأتي للفنان دون الخبرة المكتسبة من خلال التفاعل والتجربة .
- فُطر الإنسان على أن يكون حرا مالكا لإرادته وإختياراته وقادرا على أن يميز بين ماهو جميل وما هو قبيح، ومن هنا نشأت الأخلاق والفنون والسلوك الإبداعى المنضبط، فهم جميعا لهم غاية واحدة هى الإجادة التى هى صفة الإنسان المبدع المميزة له عن غيره .
- العملية الإبداعية المتميزة هى تعبير عن موهبة الفنان وجهده وخروجه للمتلقي حين بدأ حوار بين المتلقى والقيم الجمالية التى يثيرها العمل الفني فى وجدانه وهنا يكمن سبب وجود الفن وغايته .

مراجع البحث

١- المراجع العربية

١- إحسان عرسان الرباعى، الحرية والإبداع وعلاقتهما بمفاهيم الفن والجمال، مجلة جامعة دمشق – المجلد ٢٠ – العدد (٣+٤) ٢٠٠٤ .

٢- ثروت عكاشة، الزمن ونسيج النغم، سلسلة تاريخ الفن العين تسمع والأذن ترى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠ .

٣- شاكر عبد الحميد، العملية الإبداعية فى فن التصوير، عالم المعرفة، العدد ١٠٩، يناير ١٩٨٧ .

٤- صالح أحمد الشامى، الظاهرة الجمالية فى الإسلام، المكتب الإسلامى،ج١، بيروت، دمشق١٩٨٦.

٥- صالح أحمد الشامى، ميادين الجمال.. الظاهرة الجمالية فى الإسلام، المكتب الإسلامى (الطبيعة – الإنسان – الفن)، ج ٢، بيروت، دمشق ١٩٨٨ .

٦- محمد عزيز نظمى سالم، الفن بين الدين والأخلاق، الجزء الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٦ .

٧- محمد نبهان سويلم، التصوير والحياة، عالم المعرفة، العدد ٧٥، مارس ١٩٨٤ .

٢- المراجع العربية المترجمة

١- جيرار برا، لوفيفر وج، ب. ماتيو، هيجل والفن، ترجمة منصور القاضى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣ .

٢- جلين ولسون، ترجمة شاكر عبد الحميد، سيكلوجية فنون الآداب، عالم المعرفة ٢٥٨، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠ م

المراجع الأجنبية

- E. Kennick, Art and Philosophy (Readins in aesthetics Sec.ed) N.Y. 1979 .
- Wassily Kandinsky . Punto Linea Superfice . Adelphi Edizioni. 1968.

* ناقد فني ومفكر إنجليزى إجتماعى بارز عاش خلال القرن التاسع عشر وله العديد من الأراء والإهتمامات بقضايا الفن التشكيلى

* محرر صحفى و ناقد فنى بمجلة علم الجمال والنقد الفنى